

ثمرة معرفة عظمة الخالق سبحانه

..... بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. كما عرفنا أن موضوع الكتاب كتاب العظمة أي: عظمة الخالق سبحانه وتعالى، وفائدة ذلك إذا عرف العبد عظمة الخالق صغر الخلق في قلبه. جميع الخلق يصغر قدرهم في قلب المؤمن الذي يستحضر عظمة الله تعالى، ولذلك يقال: لو عقل المشركون الذين عبدوا الأشجار والأحجار والذين عبدوا القبور والأولياء وعظموهم، والذين عظموا المخلوقات، وصرفوا لها شيئاً من العبادة التي هي حق الله، لو عقلوا لما فعلوا بل إن فعلهم هذا الذي هو تعظيم المخلوقات دليل على نقص العقول معهم وعلى ضعف المعلومات. وإلا فلو تفكر المخلوقون، لو تفكر الناس كلهم في هذا الكون الذي هو جزء يسير من خلق الله تعالى لما عظموا غيره؛ وذلك لأن العاقل يفكر في هذه الأجرام العلوية والأجرام السفلية. يفكر في هذه الأرض التي هذه عظمتها، ويستحضر أنها خلق يسير من خلق الله تعالى، وكذلك أيضاً الأجرام العلوية والقمر والنجوم وما أشبهها فخلقها عظيم، ولكن الخالق أعظم، فهي مخلوقة ولكنها يسيرة وصغيرة وحقيرة إلى جانب عظمة الخالق. ولأجل ذلك ذكروا أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ختم كتاب التوحيد بباب قول الله تعالى: { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ } ثم ذكر الأدلة على ذلك في هذه الآية يقول تعالى: { وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } الأرض مع سعتها قبضة الخالق تعالى. السماوات السبع مطويات بيمينه. كذلك الأحاديث التي ذكرها في ذلك الباب؛ ذكر أن الله تعالى يقبض السماوات أو يضع السماوات على إصبع والأرضين على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع ثم يهزهن ويقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ملوك الأرض في ذلك اليوم يكونون أدلة كالمماليك، قد تخلوا عن ملكهم، وهم في الدنيا ملوك، قد ملك بعضهم الأرض شرقها وغربها، حتى حكى عن بعض ملوك بني العباس إذا مرت السحابة يقول: أمطري في أي بقعة من الأرض، فإن خراجك سوف يأتيني. هذا أحد الملوك ومع ذلك في ذلك اليوم لا يملك أحدهم لنفسه نفعاً ولا ضراً. لا شك أن هذا دليل على عظمة الخالق الذي هذه عظمته، وقد دل على ذلك الكثير من الآيات ومن الأحاديث، فمثل قول الله تعالى: { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ } جاءت هذه الآية في ثلاث سور: في سورة الأنعام وسورة الحج وسورة الزمر إنكاراً على المشركين الذين عظموا الأصنام، عظموا المخلوقات التي لا تنفع ولا تضر، وصرفوا لها خالص العبادة فيقال: إنكم ما عرفتم عظمة ربكم، ما قدرتم الخالق حق قدره، ما استحضرتم عظمة الله التي من استحضرها صغرت عنده الدنيا، صغرت عنده الدنيا وما عليها. لا شك أن الخالق سبحانه وتعالى أعظم من أن يتصوره المخلوقون أو يُدركوا كنهه وعظمته. ذكر الشيخ ابن عبد الوهاب في هذا الباب عن ابن عباس قال: ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم. أي: مثل حبة خردل، يقبضها العبد في كفه ماذا تشغل حبة الخردل؟ أصغر من حبة الدخن أو نحوها. ماذا تشغل؟ بل ماذا يشغل ألف حبة يضعها في يده؟ لا شك أن هذا إشارة إلى صغر المخلوقات وحقارتها بالنسبة إلى عظمة الخالق سبحانه وتعالى، والدليل على ذلك أفعاله سبحانه وتعالى فإنها دليل على عظمته، وكذلك مخلوقاته. في كتاب ثلاثة الأصول يقول: إذا قيل لك: من ربك فقل: ربي الله الذي رباني، وربى جميع العالمين بنعمه وهو معبودي ليس لي معبود سواه، ويستدل بقول الله تعالى: { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } ويذكر العلماء في هذه الآية { رَبِّ الْعَالَمِينَ } أن العالم كل ما سوى الله يدخل في ذلك الجماد والمتحرك الأحياء والأموات كلهم من العالمين، وقال بعضهم: إن الله خلق ألف عالم؛ ألف! الإنس عالم واحد، نوع الإنسان عالم واحد، فهذا العالم منه ما هو على هذه الأرض ومنه ما هو في البحر دواب البحر عالم لا يحصيهم إلا الله، الله تعالى هو عالمهم العالم بهم، قد علم عددهم ولا يكون شيء ولا يخلق إلا بعلمه وإرادته وتقديره.